أسلوب الملك عبدالعزيز في الإدارة

معالي أ.د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

عندما يفكر المرء في أسلوب الملك عبدالعزيز في الإدارة، فانه يجد أن الزوايا التي يمكن أن يطرق منها الموضوع متعددة، ولهذا فهو يحتاج إلى أن يقرر من أي الزوايا يدخل إلى الموضوع ويحدد التقسيم الذي سوف يضعه لمنهجه في الحديث عن ذلك.

وقبل البحث في سمات الإدارة في أسلوبه - رحمه الله - لابد أن تبين المظاهر الإدارية السائدة في محيطه وتحدد معالمها ويعين ما كان منها متوارثاً من أزمان بعيدة قد تعود إلى زمن العباسيين أو الأمويين أو إلى زمن قريب مثل زمن العثمانيين مع الابتعاد عن محاولة حصرها أو تفصيلها حتى لا يبعد الحديث عن هدفه.

والزوايا التي يمكن أن تحدد للدخول في البحث هي:

أسلوبه في إدارة البادية.
أسلوبه في إدارة الحاضرة.
أسلوبه في الإدارة أوقات الحرب.
أسلوبه في الإدارة أوقات السلم.
أسلوبه في الإدارة أول عهده.
أسلوبه في الإدارة بعد توحيده المملكة.
أسلوبه في الإدارة بالنسبة لمن يثق بهم
أسلوبه في الإدارة بالنسبة لمن هم حديثو الولاء.

هذه زوايا تتكاتف في البحث ويتفرع معها إلى اقسام كل قسم تندرج تحته حالات وحوادث يؤخذ منها الحكم العام على اسلوبه في الإدارة.

وهذه الأقسام وان بدت منطقية فان ما يندرج تحتها لا يخلو من تداخل بين اجزائه، الا ان هذا أقرب سبيل لتحديد المعالم.

حالة الإدارة في الجزيرة قبل عهده:

حكمت الجزيرة قبل عهده تقاليد تبلورت في بعض جوانبها عن الطرق الآتية:

سيطرت على الناحية الإدارية في المدن والقرى والواحات، وهي مناطق الاستقرار تعاليم الدين الإسلامي، وبعض التقاليد التي تبلورت عنها. وتركزت السلطات في الأمير وفي القاضي مع تأثير في الغالب من عِلْية القوم على تصرفات الأمير. وهذه الفئة هي فئة كبار التجار والملاك أو الفلاحين.

اما في البادية فسادت تقاليد تبلورت مع الوقت. وقد لا تكون دائماً متفقة مع الدين الإسلامي. بل ان بعضها تعارفت البادية على الحاقه بحكم الطاغوت والحَكَمُ في هذه الأمور حينئذ يكون رجلا ممن شهد له برجاحة العقل والاتزان والبصيرة بأحوال الناس النفسية ليأتي حكمه عادلًا، مرضياً للمتخاصمين، وحافظاً لماء وجه المخطىء، ومن وقع الخطأ عليه. ويلعب شيخ القبيلة دوراً هاماً في إدارة أمور القبيلة، ويستشير في الأمور الكبرى مجلساً ناضجاً يتحمل معه المسؤولية.

ولم تخل بعض المناطق الحضرية من مظاهر الإدارة التركية، ممثلة في بعض التعليمات المنتظمة، وموظفين لمراقبة تنفيذها من متصرف وغيره.

اسلوبه في الإدارة في أول عهده مع البادية في أيام الحرب:

اتسم أول عهده بالمظهر الحربي، وانصبغت علاقته مع البادية في هذه الفترة باحدى صبغتين، إما الصداقة أو الفتور، فتعامله مع الصديق يختلف عن تعامله مع من ليس كذلك. فمع الصديق الذي يحظى منه بالثقة التامة كان يترك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ له إدارة ما يدخل في محيط سلطته كما يشاء مكتفياً برسم خط السياسة العامه الذي يساعده على تنفيذ خططه الحربية.

أما مع الذي دخل الحوزة قريباً فكان يلزم معه جانب الحذر والحزم واليقظة فيحتفظ ببعض جوانب السلطة الهامة في يده، ولا يتخلى الا عما لابد من التخلي عنه في عرف تلك الأيام. مبتعداً ما أمكن عما يجرح صراحة ابقاء لما كسبه، واستصفاء لنفس المستسلم وجذباً له إلى موقع الثقة الدائم.

وهذا التوازن بين تسليم السلطة وتوفير الثقة وبين الحذر واليقظة لم يكن فقط مع رؤساء العشائر وانما كان مع أمراء المدن، فهناك مدن عرفت بصداقتها وولائها للحكام السعوديين من قبله، وأظهرت مثل ذلك له، كسب ثقته فأبقى لها أمراءها وخفف عنهم ما أثقل به الآخرين مما تقتضيها الحالة الحربية القائمة حينئذ مثل النفقات التي يساهمون بها أو أفراد المجاهدين الذين يشاركون بهم في المغازي.

أما المدن التي لم يكن ولاؤها في السابق عميقاً فالأمر اقتضى منه أن يمسك بيد قوية وذلك عن طريق تعيين من يثق به من رجاله.

ولكن هذا لم يكن الا لفترة قصيرة تلاها تبادل ثقة مؤصلة من الجانبين بعد أن ادركت هذه المدن أن حكمه عادل وثابت وقوي وأنه ليس عابراً مثل حال الحكام في هذه الفترة، ووجدوا أن من مصلحتهم أن يخلصوا له ويعضدوه ابقاء للميزات التي لمسوها وأهمها الاستقرار والأمن، وهو أمر جاء بدرجة لم يكونوا يتوقعونها. فأسلموا له القيادة راضين، وكسبوا الثقة التي كان أسباب الوصول إليها عنده سهلة.

هذا في الإدارة السياسية والحكم أما في الإدارة المدنية فكانت السلطة المدنية التنفيذية في يد الأمير الذي يمثل عبدالعزيز وفي حدود الاطار الذي رسمه والسلطة القضائية في يد القاضي في أطار الشريعة الإسلامية التي تحكم الأمير أيضاً.

واذا كان اختيار رئيس القبيلة عبؤه يقع أغلبه على القبيلة في تقاليدها وعاداتها فان عبدالعزيز بحكم علاقته مع القبائل ومعرفته لرجالها وعاداتها استطاع أن يجعل من رؤساء القبائل عوناً له على معالجة مشكلات القبيلة.

أما اختيار أمير المدينة فلم يكن عبدالعزيز يحتاج إلى مجهود في اختيار الأمير المناسب، وفي يده الاختيار الكامل لتعيين الأمير حسب أهمية المدينة وموقعها وتعرضها

لصدمات الغزو مما يوجب اختيار أمير تكون لديه المؤهلات لمقابلة هذا.

وكانت الصفات التي يتلمسها في أمرائه تتمثل في الأساس في الأمانة والصدق واليقظة والنشاط، وهذه الصفات وان كانت مطلوبه دائماً الا انه في حاجة إليها ماسة في هذه الفترة ولا يفرط فيمن تتوافر فيه، ولا يتوانى في عقاب من يخل بها.

وكان يشعر بقدرة الرجال المخلصين من أمرائه وأهميتهم، ويتوقع منهم تعضيدهم الكامل لإدارته والتفاني في تنفيذها لأنه يعتقد أنهم يشاركونه تقدير أهمية الأمن والاستقرار، وأن اي تراخ سوف يضيع جميع الجهود، وقد يسبب نكسة مفجعة لهذا فهو لا يقبل منهم ان يتقاعسوا عن تثبيت المكاسب التي حصلوا عليها والمحافظة عليها.

وينطلق في الأسلوب الذي يتخذه معهم من أنه يعرفهم جيداً تاريخاً، ونفساً وتطلعاً، ويختار معهم الاسلوب المضمون النجاح في التخاطب وفي المعاملة.

مع البادية في أيام السلم:

في أيام السلم اتضحت المعالم، وتجمعت السلطة في يده تدريجياً، وقبل رؤساء القبائل سلطته برضى تام، ولم يندموا على قبول سلطته فقد هيأ لهم بالقضاء على الفتن راحة لم تتهيأ لهم من قبل ولما تيقنوا من الفائدة حملوا معه العبء، وتكفلوا بإدارة من يتبعهم، وانصبغت إدارتهم بصبغة بعد أن توطن أغلبهم، وهي صبغة الشريعة الإسلامية. ولم يبق له أن يتدخل الا في أمور فردية منقطعة تشذ أحياناً عن الخط المرسوم، يأخذ صاحبها بالحازم من أوامر الشرع مما أعطى السلطة فيه، ليكون رادعاً لمجتمع حديث البناء وقريب عهد بالفوضى، وليؤكد انه جاء في بناء الكيان الذي يريده على أساس متين.

هذا السلم وهذا الأمان والاطمئنان أدخل عنصراً جديداً على البادية اذ سمح للقبائل بأن تنقسم إلى اقسام أصغر واستطاعت بهذا أن تتفرق في المملكة بتنظيم دقيق سنه الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في تعيين الأشخاص وتحديد المواقع. وكان أبرز

مظهر من مظاهر الطاعة الإدارية توطد السلم بين القبائل، وانتشارها في رقعة أكبر، أو توطنها في هجر، وبقيت الزكاة ودفعها لولي الأمر أحد المظاهر المؤكده للولاء التام.

مع الحاضرة في أيام السلم:

بدات تظهر بعض السمات الجديدة على المدن بعد أن وضعت الحرب أوزارها وأمنت السبل فازدهرت التجارة في حماية الأمن والاستقرار، وبعد توسع المدن وابتداع الطرق ونشوء القرى والهجر على الطرق الرئيسية. واذا كانت إدارة الملك عبدالعزيز رحمه الله في أيام الحرب لبعض المدن تتسم باليقظة والحذر والشك والتحفز، وسرعة التصرف، وتأويل الأحداث، والاهتمام الزائد بالظواهر وما تخفي من البواطن، والميل إلى الشدة في العقاب فإن الإدارة في أيام السلم وبعد استتباب الأمن اتسمت بالأناة، وسعة البال، والعفو وتقلب الأمور على وجوهها، وتوسيع دائرة الاستشارة والأخذ بالظن الحسن والتسامح والتغاضى.

وسائل الإدارة:

لم تكن وسائل الإدارة متوفرة بالصفة التي تساعد على اتقان العمل مما حدا بالملك عبدالعزيز أن يلجأ إلى أي وسيلة متوفرة، فوسائل التخطيط لم تكن متطورة وما عدا الخطة العامة التي في ذهنه فالتنفيذ يتم على أساس خطط جزئية تغيرها أحيانا الظروف الطارئة وتتحكم فيها.

كانت وسائل الانتقال هي الابل والخيل ووسائل الاتصال الرسل تحمل الخطابات بخط اليد على أي ورق يتوفر وبأي قلم يوجد. والاملاء من الرئيس المباشر المسئول نفسه أن كان الملك أو نائبه على احدى المناطق أو المدن. وعندما دخلت البرقية والسيارة دخل على الإدارة مادفعها دفعة قوية. وبعد دخول الملك عبدالعزيز الحجاز دخلت جوانب من الإدارة جديدة عن طريق موظفين مجربين وبوسائل أرقى فيها الآلة الكاتبة وطرق التسجيل والحفظ وتنظيم التخزين وتصنيف الاقسام وايجاد الصلات بينها. ووجد البريد المنظم، والطوابع والجمارك والشرطة ومراكز التفتيش والجيش

النظامي وخفر السواحل والعلاقات الخارجية المنتظمة والسفراء والقناصل، والطرق ونحتها في الجبال، ونظمت الماليات والمستودعات العامة والفرعية.

ومن ظاهر أسلوبه في الإدارة بعد أن بدأت الأمور تتضح له في توطيد المملكة أنه سعى لتوطين البادية وتثقيفهم ووضع قواعد لاختيار أمراء المناطق ولمدة بقائهم، ولمتابعة أعمالهم.

بعد توحيد المملكة:

كان التركيب الإداري عموماً في نجد أن الملك هو مصدر السلطان وإليه تعود، وله الكلمة الفصل لا يقيد كلمته الا الشرع ولم يكن هناك هيئات إدارية منظمة بجانبه ما عدا من في ديوانه من الموظفين الذين مهمتهم أن يعرضوا عليه الأمور الواردة ويأتمروا بأمره في التصرف حيالها، فيبت فيما يخص الأمور الإدارية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية الا ما يكون من اختصاص الشرع فانه يحيله إليه، (فؤاد حمزه ـ قلب جزيرة العرب ص ٦٣).

وكانت أقسام نجد الإدارية باختصار: الإمارات، وفي بعض المدن الرئيسية المالية، والقاضي بجانب الأمير.

وقد أدخل الملك عبدالعزيز في نجد بعد دخول الحجاز بعض ما وجده من تنظيم هناك، واستفاد من بعض الموظفين المدربين لتنفيذ ذلك وأضاف إليهم من عنده قابلية من أهل نجد المتعلمين ولهم المام ببعض العلوم الحديثة.

يروي حافظ وهبه: أنه أدخل النظام الصحي الحديث في نجد والاحساء بالاكثار من الأطباء وانشاء المستشفيات المتنقلة لمعالجة المرضى، ويذكر أنه أدخل نظام التطعيم ضد الجدرى. ونشر التعليم وأكثر من المدارس واستفاد من اللاسلكي في القضاء على بعض الفتن في الشمال والجنوب.

أما في الحجاز فقد وجد الملك عبدالعزيز تنظيم العثمانيين وبعض ما أدخله الاشراف من تعديل، فنسخ بعض ذلك وأبقى بعضه ومما نسخه وظيفة الوالي

والمتصرف والتقسيم الاقليمي المسمى بالقضاء والناحية. وأدخل محله الإمارة سواء كانت كبرى أو صغرى وأبقى على التقسيم الإداري القائم وأدخل عليه ما احتاج إلي ادخاله.

ولعل أول نظام أصدره بعد دخوله الحجاز هو النظام الأساسي الصادر في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ (سبتمبر ١٩٢٦م).

ثم صدر مرسوم ملكي بتوحيد اسم المملكة في ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ واختير يوم ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ للعمل بموجبه.

وقد حصرت أعمال الدولة الرئيسية بموجب التعليمات الأساسية في ستة أقسام الأمور الشرعية، الداخلية، الخارجية، والمالية، والمعارف العمومية، والعسكرية.

ويتولى هذه مديرون يرأسهم النائب العام للملك ثم صدر نظام مجلس الشورى وتكوين وزارتي المالية والخارجية. ثم في رمضان من عام ١٣٥٠هـ (يناير ١٩٣٢م) أحدث مجلس الوكلاء على نسق مجلس الوزراء يرأسه نائب الملك ويتكون من وكلاء الخارجية والمالية والشورى ويستمد المجلس سلطته من الملك. والوكلاء مسئولون بالتضامن أمامه.

وفي ضوء التعليمات الأساسية تغيرت تشكيلات الإدارة المركزية في ضوء التعليمات هذه فأصبحت رئاسة المجلس ووزارة الخارجية ووزارتي المالية والداخلية ومجلس الشورى.

وربط بالداخلية الإدارات الآتية:

الصحة العامة والاسعاف، المعارف العمومية، البرق والبريد والتليفون ورئاسة القضاء، الأمور العسكرية، الأوقاف والحرم الشريف، البلديات، المياه وعين زبيده، المحاجر البحرية، خفر السواحل، الشرطة العامة، إدارة الملحقات.